واقع الطلاق وأثره في ظهور جنوح الأحداث بالمجتمع الجزائري

(دراسة ميدانية لعينة من حالات جنح الأطفال بمركزي إعادة التربية قسنطينة - عين مليلة)

المتدخل الأول: الدكتورة إيديو ليلى

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر أ

مؤسسة الانتماء: جامعة عباس لغرور خنشلة (الجزائر)

البريد الإلكتروني: idiou.leila@univ-khenchela.dz

رقم الهاتف: 0655313207

المتدخل الثاني: الدكتور فرحاتي رفيق

الرتبة العلمية: أستاذ مفتش

مؤسسة الانتماء: المعهد الوطني للتكوين العالي لإطارات الشباب والرياضة قسنطينة (الجزائر)

البريد الإلكتروني: farhati_rafik@yahoo.fr

رقم الهاتف: 0552017375

محور المداخلة: المحور الثاني: تداعيات ظاهرة الطلاق على المجتمع الجزائري

الملخص:

تتناول الدراسة الحالية موضوع الطلاق وأثره على الجنوح بغرض إلقاء الضوء على مختلف جوانب شخصية الحدث المنحرف التي تتأثر بمظاهر التفكك الأسري (الطلاق) والذي قد يقود بها إلى ارتكاب الفعل الجانح. واعتمدنا في هذه الورقة المنهج الوصفي وأداة الاستمارة لجمع البيانات من خلال الحصر الشامل لكل المفردات المقيمة بمركزي الأحداث والبالغ عددهم 69 حدث، وخلصت الدراسة إلى أن الطلاق وغياب أحد الوالدين أو كلاهما يعد من أبرز العوامل التي كانت وراء انسياق هؤلاء الأحداث إلى السلوك المنحرف.

الكلمات المفتاحية:

الطلاق؛ الأسرة؛ الحدث؛ جنوح الأحداث

مقدمة

تُعَدّ الأسرة من البُنى المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتنظيم الاجتماعي ككل وبالعناصر الثقافية السائدة فيه، وهي الأكثر عرضةً وتأثرًا بجميع التغيرات التي قد تطرأ داخل المجتمع، سواء كانت هذه التغيرات ذات طبيعة بنيوية أو وظيفية.

ولهذا السبب، أولى علماء الاجتماع اهتمامًا كبيرًا بدراسة دور الأسرة من منظور اجتماعي، نظرًا لتأثيرها البالغ في تشكيل شخصية الفرد وسلوكياته. وتُعد التنشئة الاجتماعية من أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة داخل المجتمع، وهو ما يتماشى بلا شك مع دورها الأساسي في بناء المجتمع واستمراره.

غير أنّه إذا نظرنا إلى الجانب الآخر، فإن تفكك الأسرة وانهيارها (الطلاق) يؤدي إلى تراجع هذه الوظيفة (التنشئة الاجتماعية)، مما يترتب عنه نتائج وانعكاسات مختلفة على الأطفال باعتبارهم الفئة الأكثر تأثرًا. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن الطلاق قد يؤدي إلى جنوح الأحداث وضعف التكيف الأسري والاجتماعي، كما أكدت أن هذه الفئة تكون أكثر عرضة للسلوكيات المنحرفة.

وعليه، كلما توحّدت الأهداف وتكاملت الوظائف وانسجمت العواطف بين أفراد الأسرة، شعر أعضاؤها بالاستقرار، مما يبعدها عن عوامل الاضطراب والتفكك. وعلى العكس من ذلك، إذا ظهرت الصراعات وتعارضت المواقف بين أفرادها نتيجة للاختلافات الثقافية أو الميول الشخصية، أو نتيجة تقصير أحد أفراد الأسرة في أداء دوره أو تحمل المسؤوليات الموكلة إليه داخلها، فإن النظام الأسري يختل، وتتفتت وحدته، وتتسلل إليه عوامل الفساد، ويظهر ما يُعرف بالتفكك الأسري. وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة الطلاق ودوره في بروز جنوح الأحداث.

- **مشكلة الدراسة:**

إيمانا منا بأهمية الأسرة في المجتمع، باعتبارها الجماعة الأساسية والمسؤولة الأولى عن التنشئة الاجتماعية، والأساس الأول الذي ينطلق منه كل فرد لمواجهة المجتمع الأكبر، ونظرا للدور الوظيفي للأسرة في تشكيل وبلورة سلوك الطفل وتكوينه، فقد ارتأت هذه الدراسة أن تجعل من الأسرة ذلك النموذج المناسب لتفسير ظاهرة الانحراف أو الجنوح لدى الأحداث، وهذا بدوره يقتضي تحديد ملامح إشكالية واضحة من خلال طرح التساؤل التالي:

- **هل يؤثر تفكك الأسرة بسبب الطلاق على زيادة معدلات جنوح الأحداث؟**

ولمعرفة مدى تأثير هذا النوع من الأسر على سلوك أبنائها افترضنا الآتي:

- **الفرضية العامة:**
  - **يؤثر الطلاق سلبا على حياة أبنائها ويدفعهم لارتكاب السلوك الجانح.**

- **أهداف البحث:**

يمكن حصر الأهداف المرجوة من وراء هذا البحث في النقاط التالية:

- محاولة الاطلاع على الظاهرة وما مدى ارتباطها بعامل الأسرة، مما يسمح بالوصول إلى نتائج تفيد الدارس والمختص وتكشف النقاب عن أثارها السلبية من الناحية الاجتماعية.
- إلقاء الضوء على حالة الأحداث الجانحين والتعرف على ظروفهم ومشكلاتهم وطبيعة علاقتهم بآبائهم وأمهاتهم، ثم التعرف على الأسباب التي دفعتهم للانسياق نحو عالم الجنوح.

أولا: الإطار النظري والمفاهيمي

1. مفهوم الطلاق:

لغة: هو فسخ الزواج بين الزوجين، وطلق المرأة أي حللها من قيد الزواج **(المميز،2000، ص297).** أما في قاموس علم النفس فقد ورد الطلاق على أنه انفصال قانوني عن الزواج **(N.Sillamy, 2003, p85).**

التعريف السوسيولجي للطلاق:

هو مظهر مظاهر التفكك الأسري الكلي وانهيار الوحدة الأسرية، وكذا انحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها، والذي بموجبه تتصدع الأسرة بشكل نهائي فينفصل الزوجين ويربى الطفل من قبل أحد الوالدين أي الطرف المتبقي معه، ويحدث هذا نتيجة لتعاظم الخلافات بين الزوجين إلى درجة لا يمكن إدراكها **(عسولات جويدة، 2014، 235).**

كما تعرفه **سناء الخولي (1984، ص261)**" بأنه الدليل النهائي لتفكك الأسرة أي أنه التفكك الكلي وليس الجزئي للأسرة، وهو شكل من أشكال تصدع سقف وحدتها القائم على بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بالزوجين، كما أنه عبارة عن تلك النهاية الحتمية التي يصل إليها الزوجين نتيجة فشلهما في القيام بأدوارهما بصفة مرضية، وهو بمثابة المؤشر الواضح لفشل الأسرة وقصورها".

وعموما يمكن القول أن الطلاق هو أسلوب لإنهاء علاقة زوجية وحل قيد، كما أنها مظهر من مظاهر فشل نسق أسري.

2. أنواع الطلاق:

ويمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع رئيسية حسب ما جاء به **(بلقاسم شتوان،2008):**

1.2. الطلاق الرجعي: يقع حين يختلف الزوجان ولا ينفع التحكيم بينهما، فيقع الطلاق بين الزوجين لمرة واحدة تعتد فيها الزوجة في بيت الزوجية مدة تقارب ثلاثة أشهر الا أن زوجها لا يعاشرها، قال ابن رشد الحفيد: أجمع المسلمون على أن الزوج يملك رجعة زوجته في الطلاق الرجعي ما دامت في العدة من غير اعتبار رضاها.

2.2. الطلاق البائن بينونة صغرى: إذا انتهت العدة ولم يرجع الزوج زوجته أصبحت الطلقة بائنة، بمعنى أن الزوج لا يستطيع أن يعود اليها الا بمهر وعقد جديدين، وأن الزوجة لو رفضت العودة اليه وفضلت الاقتران بزوج أخر لا يملك الزوج الأول اجبارها على العودة، ولا منعها من الزواج الثاني.

3.2. الطلاق البائن بينونة كبرى: إذا عاد الزوج الى زوجته بعد الطلقة الثانية وعاد الخلاف بينهما ولم ينفع الاصلاح بينهما، جاز للزوج أن يطلق زوجته الطلقة الثالثة والأخيرة، وتصبح بائنة منه بينونة كبرى، بمعنى أنه لا يستطيع أن يرجعها اليه الا بعد أن تنكح زوجا أخر ثم يطلقها أو يموت عنها.

3. مراحل الطلاق:

يرى "**رشاد علي عبد العزيز" (2008، ص147، 148)** أن الطلاق يمر بعدة مراحل هي:

1.3. مرحلة الانفصال الفكري:

ان بداية ظهور المشكلات بين الزوجين واستمراريتها واستفحالها كفيل بحدوث انفصال فكري بينهما حيث يفكر كل منهما بطريقة مختلفة عن طريقة تفكير الاخر حول هذه المشكلات، بل وقد تكون مضادة لها وعلى نقيض منها، بما يزيد من شدتها وحدتها، ويؤدي الى تصاعد الخلافات بينهما فيحدث الانفصال الفكري الذي قد يصل الى حد لا يلتقيان عنده.

2.3. مرحلة الانفصال الوجداني:

ان الانفصال الفكري بين الزوجين يؤدي الى اصابة ارتباطهما الوجداني بشرخ كبير يصعب ترميمه.

3.3. مرحلة الانفصال الجسدي:

من الصعوبة أن يجتمع الزوجان في فراش واحد ليمارسا علاقتهما الجنسية المشروعة، وفي نفس الوقت يوجد بينهما تباعد فكري وانفصال وجداني يبعد كل منهما من الأخر.

4.3. مرحلة الانفصال الشرعي القانوني:

عند تفاقم الانفصال الفكري والوجداني والجسدي بين الزوجين وعنادهما واصرارهما على عدم اتخاذ أية خطوة ايجابية تقرب كل منهما للأخر، فان هذا مما لا شك فيه يدفعهما الى طلب الطلاق والانفصال الشرعي القانوني.

5.3. مرحلة الانفصال الاقتصادي المادي:

يصاحب عادة واقعة الطلاق اجراءات اقتصادية يحكمها الشرع والقانون حيث يبدأ كل من الزوجين في السؤال عما له وما عليه من التزامات مادية لتسويتها. وقد تتم التسوية المادية بين المطلقين بطريقة مادية وقد لا تتم مما يحولهما الى خصمين متنازعين يواجه كل منهما الأخر في المحاكم، وعندئذ يبدأ الانفصال المادي حيث يأخذ الطرفان ما لهما ويدفعان ما عليهما.

6.3. مرحلة الانفصال الأبوي:

يرى الكبار أن الطلاق راحة من عناء مشكلات الحياة الزوجية الا أنه ذو تأثير بالغ على الأطفال الذين لا ذنب لهم، فيعيش الابن محروم العلاقة الثنائية أي حنان الأم أو من رعاية الأب أو يكون مشتتا بينهما في جو يسوده الكره والمنازعات، فللأب دور مهم في تكوين الابن، حيث يشكل وجوده النفسي واضطلاعه بدوره الأبوي اتجاه ابنه أهمية جوهرية في بنائه النفسي السوي من خلال فعالية الأدوار المنوطة به، بداية بالدور الاقتصادي الذي يعتبر من المهمات الأساسية للأب، اضافة الى ذلك الدور التربوي.

فحسب **(محمود خوالد، 2004)** الأب هو ممثل للانضباط والمنع والقوة حيث يمثل النموذج الأول الذي يتعرف الطفل من خلاله على معنى السلطة ومعالمها، بالإضافة الى ذلك نجد دوره النفسي الذي يظهر من خلال بناء علاقة اب-ابن صحيحة يسودها الحوار والتفاعل والاتصال مع أبنائه وكل هذا ينعكس بالإيجاب على مستقبل الابن، إلا أنه من خلال هذا الانفصال فان غياب نموذج الأب والقدوة يجعله تائها وسالكا لسلوكات منحرفة.

7.3. مرحلة الانفعالي:

وتأتي بعد الطلاق حين يظن المطلق أنه وجد الحل الأمثل إلا أنهما يدخلا في حالة تتصف بالانفصال عن الناس، القلق الدائم واستعادة الذكريات ومقارنة بين ما كان عليه وما هو عليه ومحاولة رسمه خطط مستقبلية وغيرها من الأمور التي يحاول اجتيازها والتغلب عليها.

4. مفهوم الحدث:

يعرف الحدث لغويا بأنه الشاب صغير السن وهو جمع أحداث، حيث نقول رجل "حدث السن "ونعني به شخص فتي، فحداثة السن هي الشباب وبداية العمر **(الفيروزي بادي، دت، ص61).**

ويعرف الحدث وفقا للمفهوم الاجتماعي والنفسي بأنه " الصغير منذ ولادته، وحتى يتم له النضج الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد والإدراك " **(محمد قواسمية، 1990، ص15).**

وتأكيدا على هذا المعنى يعرف الحدث "هو الصغير منذ ولادته حتى يتم نموه الاجتماعي والنفسي وتتكامل له عناصر الرشد، هذا الصغير الذي يستجيب لعدم التوافق بدرجة خطيرة متزايدة بوسائل عدوانية" **(نوار الطيب، 1990، ص15).**

ويشير الحدث في المفهوم القانوني إلى "صغير السن الذي أتم السن التي حددها القانون للتميز، ولم يتجاوز السن التي حددها لبلوغ الرشد" **(محي الدين مختار، 1989، ص81)**.

ففي حين تحدد أغلبية القوانين السن الأدنى للحداثة بسبع سنوات تحدده تشريعات أخرى بثمانية وأخرى بتسع سنوات، وكما يختلف الحد الأدنى لسن الحداثة فإن الأمر كذلك بالنسبة إلى السن التي عندها يخرج الفرد من دائرة الأحداث، إذ أنها تتراوح بين الرابعة عشر والواحد والعشرين سنة، بينما تتفق أغلب الدول العربية في تحديدها بـ الثامنة عشر سنة، وهو الحد الأدنى الذي أوصت به حلقة دراسات باريس سنة 1949.

مما تقدم يمكن القول أن الحدث هو ذلك الصغير الذي تجاوز مرحلة الطفولة وبدأ يعي ما يحيط به، أي أنه حديث العهد في إدراك الواقع، فهو ليس طفلا صغيرا ولا شابا ناضجا.

5. مفهوم جنوح الأحداث:

يعرف جنوح الأحداث أو انحراف الأحداث بأنه الفشل في أداء الواجب، أو أنه ارتكاب العمل السيئ أو العمل الخاطئ، أو أنه خرق للقانون عند الأطفال الصغار **(عبد الرحمن عيسوي، 1984، ص23)**.

وبذلك يصبح مصطلح انحراف الأحداث يطلق على الأخطاء البسيطة التي يرتكبها الأحداث الصغار ضد القانون أو ضد النظام الاجتماعي السائد.

يعرف القانون الحدث الجانح بأنه "الحدث في الفترة بين سن التمييز وسن الرشد الجنائي الذي يثبت أمام السلطة القضائية أو أي سلطة أخرى مختصة، أنه قد ارتكب جريمة أو تواجد في إحدى الحالات الخطيرة التي يحددها القانون " **(محمد قواسمية، 1990، ص 61، 62)**.

وبالتالي فموقف رجل القانون من انحراف الأحداث لا يختلف عن موقفه إزاء مفهوم الجريمة، لأن رجل القانون يحرص على جمع وتوفير شروط تكوين الجريمة من حيث أركانها المادية والمعنوية بصورة دقيقة وكاملة، أي التركيز على الفعل الإجرامي ذاته بدون الاهتمام بالفاعل.

ويرى بعض علماء الاجتماع أن الانحراف ينشأ من البيئة الاجتماعية، وهم بذلك يصفون الأحداث المنحرفين على أنهم ضحايا ظروف خاصة اتسمت بعدم الاطمئنان والاضطراب الاجتماعي، وعرف انحراف الأحداث وفقا لمنظورهما بأنه " موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن لعامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السببية، مما يؤدي إلى السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إليه" **(محي الدين، 1989، ص77)**.

أما المنظور النفسي فيعرف انحراف الأحداث بأنه عبارة "عن مشكلة نفسية بالدرجة الأولى، تنشأ وتتحقق كسلوك إنساني لدوافع وحاجات ومصالح محددة، في ظروف تسمح به أو تشجعه، والسلوك الجانح عند الحدث هو اختراق للقوانين النافذة والمعايير الاجتماعية المرعية نتيجة سوء تكيف الحدث وتدني مستوى الوعي لديه تجاه الضبط الاجتماعي " **(نائف الحيدري، 1993، ص 95)**.

نخلص من كل ذلك إلى أن مشكلة انحراف الأحداث هي عبارة عن ظاهرة إنسانية متعددة المستويات والأبعاد، لها أوجهها القانونية والاجتماعية والنفسية والبيولوجية، وبأن لكل فرع من هذه الفروع دوره الخاص في توضيح معناها.

6. الآثار النفسية والاجتماعية للطلاق على الأبناء:

يُعَدّ الطلاق من أبرز مسببات تفكك الأسر، بل قد لا نبالغ إذا قلنا إنه السبب الرئيسي. وقد شهد تزايدًا مستمرًا في جميع الدول العربية عمومًا، وفي الجزائر على وجه الخصوص، حيث تم تسجيل أكثر من 34,123 حالة طلاق سنة 2007، ليصل

هذا العدد إلى 49,839 حالة سنة 2010، بمعدل زيادة سنوي بلغ 7%. ويُعزى هذا الارتفاع إلى عدة عوامل، منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

الطلاق يعني انهيار الوحدة الأسرية وتعريض الأطفال لاضطرابات في شخصياتهم. فالطفل الذي ينشأ في كنف والديه، محظوظًا برعايتهما واهتمامهما، ثم يجد نفسه فجأة محرومًا من أحدهما بعد انفصالهما بالطلاق، تتكوّن لديه مشاعر القلق والخوف والتشاؤم، ما يعرقل مساره في الحياة. وإذا أعقب الطلاق زواج جديد للوالدين، وحاول كلٌّ منهما إلقاء مسؤولية الطفل على الآخر، فإن الطفل ينفصل عنهما عاطفيًا وماديًا، وقد ينتهي به الأمر إلى التشرد والجنوح **(محمود حسن، 1981، 288)**.

ويمكن الإشارة لبعض الظروف التي قد يتواجد فيها الطفل بعد انفصال والديه في الحالات التالية:

- قد يكون **الصراع الداخلي** أبرز معاناة يواجهها الطفل نتيجة انهيار الحياة الأسرية. فعندما تتفكك الأسرة وينفصل الوالدان، يجد الطفل نفسه مضطرًا لاتخاذ قرار هو في الغالب غير مستعد له ولا يملك القدرة على حسمه. ومع ذلك، فإن واقع الانفصال يفرض عليه ضرورة اتخاذ ذلك القرار.
- في كثير من الحالات ينتقل الطفل من البيت المفكك ليعيش غريبًا مع الأب أو الأم. وهذا يولّد مشكلات خاصة في الأسر الممزقة بالطلاق، إذ يُطلب من الطفل التكيّف مع زوجة أب أو زوج أم، مع أنه يعلم أن والديه البيولوجيين ما زالا على قيد الحياة.
- الطفل الذي يتنقل بين والدين مطلقين يضطر إلى التكيّف مع بيئتين منزليتين مختلفتين. ومن الطبيعي أن يجد اختلافات كثيرة بين المنزلين في أسلوب المعيشة والعادات وطرق الحياة. وقد يصادف إخوة غير أشقاء من أحد الوالدين في كلا الوضعين، ويواجه فروقًا في المستوى الاجتماعي أو التقاليد والأعراف. ولهذا يصبح عليه أن يتعلم كيف يتأقلم مع هذين المحيطين المختلفين.
- هذه الأوضاع تخلق مشكلات أخرى أهمها **الكبت**، حيث يواجه الطفل ضغوطًا تؤثر على عاداته اليومية وعلاقاته الاجتماعية. فيجب عليه ألا يذكر الطرف الآخر، وأن يتعلم طرقًا مقبولة لمخاطبة زوج الأم أو زوجة الأب، وأن يعرف إن كان يستطيع دعوة أصدقائه، وما حدود ما يمكنه قوله عن الماضي، وأي موضوعات يمكن التحدث عنها أو تجنّبها عند انتقاله بين الوالدين. مثل هذه الضغوط والقيود والمخاوف غالبًا ما تؤدي إلى ارتباك الطفل واضطرابه النفسي.
- لا يستطيع الطفل الذي يعيش في أسرة مفككة أن يتجنب المقارنة المستمرة بين حياته وحياة غيره من الأطفال في أسر مستقرة. ومن خلال علاقاته بهم يكتشف السعادة التي ينعمون بها مع والديهم معًا، فيتولّده شعور بالنقص واليأس والإحباط، بل وقد يصل إلى الحقد على الآخرين.
- يحمل الطفل عبئ الانشغال الدائم بمشكلاته، وقد تتكوّن لديه معرفة واضحة بالأحداث التي أدت إلى الانفصال. فالصراعات العاطفية التي سبقت الطلاق تظل عالقة في ذاكرته.
- تبدأ **المو اقف المتناقضة تجاه كلا الوالدين** بالنمو داخله. ولأنه غير قادر على فهم الأسباب الحقيقية لخلافهما، يعيش في حالة قلق وحيرة. وإذا أدرك دوافعهما شعر بالإحباط والمرارة. ولا يمر وقت طويل حتى ينشأ لدى أبناء الأسر المفككة رفض أو حتى كراهية لأحد الوالدين أو كليهما. ونتيجة لذلك قد يُكوّنون أحكامًا قاسية على مؤسسة الزواج أو يرونها بلا جدوى. وفي هذا السياق يشير "**موريير**" إلى أن الطلاق غالبًا ما ينتقل من جيل إلى آخر بهذه الطريقة.

- يؤدي اضطراب حياة الطفل الأسرية إلى اضطراب نموه الانفعالي والعقلي، ويمكن أن نتوقع اضطراب في حياته الدراسية وتراجع مستواه التعليمي وصعوبة في بناء علاقاته مع الآخرين، وقد يفقد أصدقائه القدامى وينخرط في عصابات منحرفة **(yannick lemel, Bernard Roudet, 1999, pp 214 – 216).**

وفي الختام يمكن القول أنه لا يمكن النظر لجميع أنماط التفكك الأسري في أي مجتمع بنفس الدرجة من الخطورة، إلا أن الطلاق يعتبر أخطر أشكال التفكك الأسري على الإطلاق، وذلك في جميع المجتمعات بلا استثناء.

ثانيا: الإجراءات المنهجية للدراسة

1. مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من نزلاء مركزي الأحداث بمدينتي قسنطينة وعين مليلة حتى تتسع دائرة المبحوثين ونتمكن من الوصول إلى نتائج صادقة ودقيقة، وعلى الرغم من اعتماد مؤسستين من مؤسسات إعادة التربية، وجدنا أن طبيعة الموضوع تفرض علينا إخضاع كل نزلاء مركزي الأحداث قسنطينة وعين مليلة لمسح شامل يلم بكافة الأحداث، بغض النظر عن عمر الحدث ومستواه الاجتماعي أو التعليمي، ومنه يمكن القول أن عينة البحث هي مسحية، لأنه تم إجراء مسح شامل لمجتمعي الدراسة، فقدر مجتمع البحث ب (69) حدثا.

2. المقاربة المنهجية:

انطلاقا من أن موضوع دراستنا هو الطلاق وعلاقته بجنوح الأحداث، ونظرا لاعتمادنا على الجانب الميداني بالدرجة الأولى في محاولة تشخيص طبيعة العلاقة الموجودة بين الطلاق وجنوح الأحداث، فان نوع الدراسة سيكون بالضرورة دراسة وصفية معتمدين فيها على منهج المسح الاجتماعي.

3. أداة الدراسة:

قام الباحثان بتصميم استبيان اشتمل على مجموعة من الأسئلة الخاصة بإمكانية قيام علاقة تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع، أي مدى تأثير الأسرة التي تعاني من انفصال الوالدين بالطلاق في انحراف أبنائهم وجنوحهم.

4. نتائج الدراسة ومناقشتها:

الجدول رقم 01: يوضح فئات العمر

الأحداث / الفئات	م . م . 1		م . م . 2		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
13 – 14 سنة	04	11,76	02	05,71	06	08,69
15- 16 سنة	15	44,11	14	40	29	42,02
17- 18 سنة	15	44,11	19	54,29	34	49,27
المجموع	34	100	35	100	69	100

يتضح من بيانات الجدول (**01**) أن أعلى نسبة بين فئة الأحداث المنحرفين كانت في الفئة العمرية (17–18 سنة) بنسبة (49.27%). حيث بلغت نسبة الأحداث المنحرفين في المجموعة الأولى (44.11%) مقابل (54.29%) في المجموعة الثانية

في نفس الفئة. تليها الفئة العمرية (15–16 سنة) التي سجلت ما يقارب (42.02%). أما الفئة (13–14 سنة) فقد سجلت ست حالات فقط، أي ما يمثل(08.69%) .

وتُعَد المرحلة العمرية التي يمر بها الأحداث محل الدراسة هي مرحلة المراهقة، ووفقاً لتصنيف "إريكسون" تُعرف هذه المرحلة بمرحلة "أزمة الهوية"، حيث يسعى المراهق إلى البحث عن ذاته كشخص مستقل له مكانته ودوره وموقعه في المجتمع. غير أنه غالباً ما يفشل في تحقيق ذلك، وبسبب نقص الخبرة يصبح معنى الحياة مضطرباً لديه، مما يقوده إلى التمرد والانحراف بل وقد يصل إلى تهديد حياة الآخرين.

الجدول (02): يشير إلى المستوى التعليمي للحدث

الأحداث / المستوى التعليمي	م . م . 1		م . م . 2	
	التكرارات	النسبة	التكرارات	النسبة
غير متمدرس	01	02,94	03	08,57
ابتدائي	19	55,88	18	51,42
متوسط	14	41,17	13	37,14
ثانوي	-	-	01	02,85
المجموع	34	100	35	100

إن المستوى التعليمي لعينة الأحداث المنحرفين هو في معظمه المستوى الابتدائي، كما هو موضح في الجدول **(02)**. فقد بلغت نسبة الأحداث المنحرفين في المجموعة الأولى (55.88%)، بينما بلغت (51.42%) في المجموعة الثانية. يلي ذلك الأحداث الذين تمكنوا من مواصلة دراستهم إلى غاية المرحلة المتوسطة، حيث مثلوا (41.17%) من أفراد المجموعة الأولى، و(37.14%) من أفراد المجموعة الثانية.

غير أن بعض الأحداث، على الرغم من وصولهم إلى الدراسة في المرحلة المتوسطة، إلا أنهم انقطعوا عنها لاحقاً إما بسبب الطرد أو نتيجة الضغوط الاجتماعية وضعف الظروف الاقتصادية المحيطة بهم. والدليل على ذلك أن المرحلة الثانوية لم تسجل أي حالة في المجموعة الأولى، في حين سُجلت حالة واحدة فقط بنسبة (02.85%) في المجموعة الثانية من الأحداث المنحرفين.

أما الأحداث الذين لم يلتحقوا بالمدرسة مطلقاً، فقد بلغ عددهم أربعة أفراد، أي ما نسبته (08.75%) في المجموعة الثانية، و(02.94%) في المجموعة الأولى. ويؤكد التباين في المستويات هنا أن التحصيل الدراسي يرتبط بظاهرة الانحراف، إلى جانب عوامل أخرى قد تسهم بشكل أو بآخر في توجيه الحدث نحو السلوك المنحرف.

الجدول (03): توزيع نسب الوفيات داخل أسر الأحداث

الأحداث / البدائل	م.م.1				م.م.2				المجموع			
	على قيد الحياة		متوفي(ة)		على قيد الحياة		متوفي(ة)		على قيد الحياة		متوفي(ة)	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الأب	30	88,24	04	11,76	29	82,86	06	17,14	59	85,50	10	14,49
الأم	31	91,18	03	08,82	30	85,71	05	14,29	61	88,40	08	11,59
المجموع	34	100	34	100	35	100	35	100	69	100	69	100

تُظهر بيانات البحث أن الفروق الواردة في الجدول **(03)** ما هي إلا اختلافات طفيفة في نسب وفاة الوالدين بين العيّنتين الأولى والثانية من الأحداث المنحرفين، وينطبق الأمر ذاته على نسب وفاة الأب والأم. وتشير البيانات إلى أن (17.14%) من الأحداث في العينة الثانية فقدوا آباءهم بسبب الوفاة، مقابل (11.76%) في العينة الأولى. بينما بلغ عدد الأحداث الذين فقدوا أمهاتهم خمسة أفراد بنسبة (14.29%) في العينة الثانية، مقابل ثلاثة أفراد بنسبة (08.82%) في العينة الأولى.

ونستنتج أن المبحوثين الذين فقدوا آباءهم بسبب الوفاة هم أكثر عرضة للانحراف من أولئك الذين فقدوا أمهاتهم. ويُعزى ذلك إلى أن وفاة الأب تؤدي إلى عدة مشكلات وصعوبات، مثل عجز الأم عن تربية أطفالها ورعايتهم بمفردها، فضلاً عن تراجع – بل وربما فقدان – الموارد المالية بعد وفاة الأب باعتباره المعيل الأساسي للأسرة. وقد يضطر هذا الوضع الأم إلى العمل خارج المنزل، بينما يُجبر الأبناء في كثير من الأحيان (حسب تصريحات المبحوثين) على العمل للمساهمة في تغطية متطلبات المعيشة الأساسية. ونتيجة لذلك، يختلط الحدث بأقران منحرفين، وينجذب إلى حياة الشارع، وينتهي به المطاف في مراكز إعادة التربية.

الجدول (04): يظهر معدلات الطلاق بين أسر المبحوثين

الأحداث / البدائل	م.م.1		م.م.2		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	06	17,64	08	22,85	14	20,28
لا	28	82,35	27	77,14	55	79,71
المجموع	34	100	35	100	69	100

تُظهر بيانات الجدول **(04)** أن الطلاق منتشر بشكل كبير بين أسر المبحوثين، حيث يعيش ما مجموعه (14 فرداً) من العينة في أسر مفككة بالطلاق، وهو ما يمثل نسبة (20.28%). ويعني ذلك أن أسرة واحدة من كل خمس أسر للمبحوثين قد عاشت تجربة الطلاق، مقابل (55 فرداً) يعيشون في أسر متماسكة، بنسبة.(79.71%)

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات الأخرى التي أُجريت حول ظاهرة جنوح الأحداث في المجتمع الجزائري، والتي بينت أن الطلاق أكثر انتشاراً بين أسر الأحداث المنحرفين.

الجدول (05): يوضح أسباب انفصال الوالدين دون وقوع الطلاق

الأحداث / البدائل	م.م.1		م.م.2		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
وفاة أحد الوالدين أو كلاهما	07	46,66	11	64,70	18	56,25
هجر المنزل والانفصال الأسري دون طلاق	04	26,66	03	17,64	07	21,87
الغياب الطويل للوالد بسبب ظروف العمل	04	26, 66	03	17,64	07	21,87
المجموع	15	100	17	100	32	100

تشير بيانات الجدول **(05)** إلى أن (56.25%) من الأحداث المنحرفين فقدوا أحد والديهم بسبب الوفاة، تليها نسبة (21.87%) من الآباء الذين هجروا الأسرة لفترة طويلة. ويُقصد بالهجر هنا انقطاع العلاقة الزوجية من خلال مغادرة أحد الزوجين للمنزل والأبناء، وبالتالي إهمال المسؤوليات الأسرية لفترة زمنية معينة، سواء كانت طويلة أو قصيرة. ويعكس ذلك انسحاب أحد الزوجين من الحياة الزوجية دون إبداء أي نية للحفاظ على العلاقة أو إنهائها، بما يوحي بتخليه عن الالتزامات الأسرية المادية والمعنوية معاً.

كما تكشف بيانات البحث أن (21.87%) من آباء المبحوثين قد هجروا أسرهم بالسفر إلى الخارج للعمل. وفي هذه الحالة، وعلى الرغم من أنهم لم يهملوا مسؤولياتهم المادية، إلا أنهم أهملوا مسؤولياتهم المعنوية والعاطفية، مما حرم المبحوثين من سلطة الأب ورعايته وإشرافه.

الجدول رقم (06): يشير إلى مكان إقامة الحدث قبل دخوله المركز

الأحداث / البدائل	م.م.1		م.م.2		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
مع كلا الوالدين	14	41,17	11	31,43	25	36,23
مع الأب فقط	03	08,82	05	14,28	08	11,59
مع الأم فقط	16	47,05	15	42,86	31	44,93
مع أحد الأقارب	01	02,94	03	08,58	04	05,80
مع الأصدقاء	-	-	01	02,85	01	01,44
المجموع	34	100	35	100	69	100

تشير بيانات الجدول (**06**) إلى أن غالبية العينة (44.93%) كانوا يعيشون مع أمهاتهم بعد وفاة الآباء أو عقب طلاق الأمهات. بينما واصل (36.23%) العيش مع كلا الوالدين. في المقابل، فضّل (11.59%) العيش مع آبائهم، في حين اضطر (05.80%) للإقامة مع الأقارب. وأخيراً، اختار (01.44%) الاستقلالية وقرروا العيش مع صديق.

النتائج العامة:

تعتبر فرضية الدراسة أن الطلاق هو من العوامل المساهمة في جنوح الأحداث، حيث أوضحت بيانات هذه الدراسة عن وجود نسبة (20,28%) من مجموع أفراد العينة ينتمون إلى أسر تعاني من الطلاق، وهذا يعني أن كل خمسة أسر من أسر المبحوثين حدث فيها الطلاق.

إن غياب رعاية الأسرة ورقابتها نتيجة عدم إقامة الحدث في أسرة متماسكة تتمتع بتواجد الأب والأم معا، يجعل الأحداث عرضة للانحراف، حيث سجلت الدراسة ما يقدر ب (66,66 %) من أباء الأحداث لا يقيمون مع زوجاتهم وأبنائهم بسبب الطلاق (20,28 %)، أو هجر أحدهما وانفصاله عن الطرف الثاني بدون طلاق والذي حصل على تأكيد (21,87 %)، أو فقدان أحدهما أو كليهما بالوفاة والذي قدرت نسبته بـ (56,26 %)، وهي نسبة مرتفعة جدا تؤكد بأن فقدان الأسرة لأحد الوالدين أو كليهما بالوفاة على علاقة كبيرة بانحراف أبنائها وجنوحهم.

ويقابل عدد الأحداث (46 حدث) الذين لا يقيمون مع كلا الوالدين نسبة (33,33 %) من الأحداث الذين يعيشون داخل أسر لا تزال تحظى بتواجد الأب والأم معا (أنظر الجدول 06). كما أكدت نتائج الدراسة عن وجود نسبة (44,93 %) من الأحداث يقيمون مع الأم وحدها، أو مع الأب وحده بنسبة (11,59 %)، ونسبة أخرى من الأحداث (05,79 %) كانوا يقيمون عند إحدى الأقارب نتيجة اندفاع الآباء والأمهات بعد انفصالهم بالطلاق، أو فقدان أحدهما بالوفاة إلى إعادة تجربة الزواج للمرة الثانية من طرف الأب مع امرأة أخرى بنسبة (18,84 %) مقابل نسبة (04,34 %) من أمهات الأحداث أعدن الزواج من رجل آخر.

وقد تستدعي كذلك قساوة الظروف الاجتماعية وسوء الأحوال المعيشية أو الفقر إلى اندفاع الوالد إلى بذل كل طاقته للبحث عن عمل يتقاضى من ورائه أجرا يعينه على مواصلة الدرب، وهو الأمر الذي يجعله يبتعد عن الزوجة والأبناء لفترة قد تطول أو تقصر، حيث توصلت نتائج الدراسة إلى أن الآباء الذين هجروا المنزل لظروف تفرضها طبيعة عملهم بلغت حدود (21,87 %)، مما يجعل الوالد غير قادر على متابعة تصرفات الحدث وتقويم سلوكه وغير مشرف على توجيهه.

خاتمة

استناداً إلى جميع المعطيات السابقة، يمكننا أن نستنتج بشكل عام أن فرضية البحث قد تأكدت إلى حد كبير. فالنتائج الميدانية التي توصلت إليها هذه الدراسة تُظهر أن فقدان أحد الوالدين أو كليهما – سواء عن طريق الوفاة أو الطلاق أو الهجر – يُعد عاملاً رئيسياً في انهيار أحد الأركان الأساسية للحياة الأسرية، مما يحرم الحدث من الرعاية والاهتمام والتوجيه السليم. ومن الطبيعي أن يدفعه ذلك إلى الشارع، هارباً من بيت يفتقر إلى مقومات السعادة والاستقرار. وهناك يلتقي بأقرانه من "رفاق السوء" ويلجأ إليهم في غياب من يرعاه. وهذا بدوره يؤدي إلى اهتزاز شخصيته وتدهور صحته النفسية، ويدفعه في النهاية إلى الجنوح.

قائمة المراجع:

1- بلقاسم شتوان، الطلاق في الفقه المالكي. دار الفجر، قسنطينة، 2008.

2- رشاد علي عبد العزيز، سيكولوجية القهر الأسري. ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

3- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية. دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

4- عصام توفيق وآخرون، المشكلات الاجتماعية المعاصرة، مداخل نظرية، تجارب عربية، أساليب المواجهة. ط1، دار الفكر، عمان، 2008.

5- محمد عبد القادر قواسمية، جنوح الأحداث في التشريع الجزائري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.

6- محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981.

7- Yannick Lemel et Bernard Roudet , filles et garçons jusqu'à l'adolescence ,l'harmattan (I.S.B.N) , paris , 1999 .p p 214-216.

القواميس والمعاجم:

8- الفيروزي بادي، قاموس المحيط، الطبعة الأولى، بيروت، مطبعة دار الفكر، بدون سنة.

9- Sillamy,N.(2003) :Dictionnaire de psychologie, Larousse ,Paris.

الرسائل والمجلات:

10- محي الدين مختار، مشكلة انحراف الأحداث عواملها ونتائجها. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، جامعة قسنطينة، 1989.

11- نوار الطيب، ظاهرة انحراف الأحداث. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر، 1990.

12- عسولات جويدة، الطلاق وجنوح الأحداث. مجلة الأسرة والمجتمع، المجلد 2، العدد 2، 2014.

13- نائف الحيدري، جناح الأحداث، الظاهرة، الأسباب، المعالجة مجلة الثقافة النفسية بيروت، دار النهضة العربية، المجلد4، نيسان 1993، ص95.